

العنوان:	جهود ابن حزم في جدال اليهود
المؤلف الرئيسي:	عبيد، عماد جميل عبدالرحمن
مؤلفين آخرين:	السميري، جابر بن زايد بن عيد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2007
موقع:	غزة
الصفحات:	1 - 161
رقم MD:	541210
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الإسلامية (غزة)
الكلية:	كلية اصول الدين
الدولة:	فلسطين
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد، ت456هـ، اليهود، رد الشبهات، دفع المطاعن عن الإسلام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/541210

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

عبيد، عماد جميل عبدالرحمن، و السميدي، جابر بن زايد بن عيد. (2007). جهود ابن حزم في جدال اليهود (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/541210>

أسلوب MLA

عبيد، عماد جميل عبدالرحمن، و جابر بن زايد بن عيد السميدي. "جهود ابن حزم في جدال اليهود" رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة، 2007. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/541210>

الفصل الرابع

مناظرة ابن حزم لابن النغيلة اليهودي

وفيه مبحثان

المبحث الأول: التعريف بابن النغيلة ودواعي المناظرة بينه وبين ابن حزم

وفيه مطلبان

المطلب الأول : التعريف بابن النغيلة

المطلب الثاني : دواعي المناظرة بينه وبين ابن حزم

المبحث الثاني : ردود ابن حزم على ابن النغيلة اليهودي

وفيه ثمانية مطالب

المطلب الأول : الشبهة الأولى

المطلب الثاني: الشبهة الثاني

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة

المطلب الرابع: الشبهة الرابعة

المطلب الخامس: الشبهة الخامسة

المطلب السادس: الشبهة السادسة

المطلب السابع: الشبهة السابعة

المطلب الثامن: الشبهة الثامنة

الفصل الرابع

مناظرة ابن حزم لابن النغيلة اليهودي

توطئة :

لقد أبدى يهود الحجاز، العداء السافر نحو الدعوة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة ومن ذلك الفهم مع القبائل الوثنية ضد المسلمين مما أدى إلى مواجهات عسكرية عديدة انتهت بانتصار المسلمين، وإجلاء اليهود عن المدينة وما حولها باعتبار أن لها كانت، آنذاك، مركز الحكومة الإسلامية، ولم يتوقف النشاط اليهودي على تحويل الكيد خفي يكرر بالإسلام والمسلمين ويحاول إفساد عقيدتهم ، والقضاء على رجالهم وبث الفتنة في صفوفهم . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العدوانية اليهودية ضد المسلمين بقوله -تعالى-: (لَنَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)⁽¹⁾ كما صور القرآن الكريم جوانب من كفرهم وتآمرهم على النبي والمسلمين وتحالفهم مع الكافرين في قوله ل: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَهَوْنَ عَنْ مُكَرَّمِ اللَّهِ لَ بَنَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)⁽²⁾ .

والواقع أن الإسلام نقض الكثير من المفاهيم الدينية لليهود دون أن ينكر عليهم أنهم أصحاب دين سماوي وكتاب منزل من عند الله ل وأنزله على النبي موسى ل هو التوراة، ولكن تحريف الذي أدخل على شريعة موسى أفسد عقيدة بني إسرائيل وصار لزاما عليهم تقويم الانحراف والعودة إلى الشريعة الحقة ، القائمة على التوحيد الخالص لله -تعالى- ، دون أن تشوبها شوائب الشرك الظاهر أو الخفي، وهي عقيدة ملة النبي إبراهيم ل التي جاءت الدعوة الإسلامية لإحيائها حيث يقول -تعالى-: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)⁽³⁾ وهي شريعة الإيمان والتوحيد الخالص لله المائلة عن الشرك ، وقال -تعالى- : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا

(1) سورة المائدة - 82.

(2) المصدر السابق، 78-81.

(3) سورة النحل - 123.

يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ⁽¹⁾ تجاه هذا الموقف الواضح والحاسم نحو اعتقاد اليهود كان رد فعلهم أن دخل نفر من علمائهم في الإسلام منهم عبد الله بن سلام بينما ظل أكثرهم على اعتقادهم المتوارث عن الأحبار، وقد أبطنوا الكيد بالإسلام والمسلمين، وكان لهم دور خفي ومكر مدبر في إفساد عقيدة المسلمين، وإذ بقي القرآن الكريم في منجاة من كيد اليهود بما حفظه الله وصانه من أي تحريف الفسّ اليهودي تسلل إلى التفسير والحديث وأدخل عليهما الكثير من الأحاديث الموضوعية والروايات المصنوعة حتى اضطر السلف الصالح إلى وضع أصول وقواعد لعلوم الحديث يعرف بها الصحيح من السقيم، والغث من السمين، وصار هناك في التفسير والحديث ما يعرف باسم "الإسرائيليات" وقد أثبت العلم أن كثيراً مما نقل من تاريخ بني إسرائيل غير صحيح. وكان للذين أسلموا من أهل الكتاب دور غير يسير في تسريب الكثير من الأقوال والآراء اليهودية إلى معتقدات المسلمين، وألفروا مسائل دينية كانت مدار نقاش وجدال بين الفرق والمذاهب الإسلامية، ومثال ذلك كعب الأحبار وعلي بن رباب الطبري الذي كان كثير الاستشهاد بالكتاب المقدس بل وقد كان يرد عنه تهمة التحريف⁽²⁾، وتواصلت محاولات اليهود لإفساد المعتقد الديني للمسلمين، ولكن أصول العقيدة الإسلامية بقيت مصانة على يد أئمة الإسلام ورجاله، وقد تمت كلمة الله وتقديره بأنيقي القرآن في حرز من العبث والتلاعب مصداقاً لقوله -تعالى-: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)⁽³⁾. غير أن هذا لا يعني أن علماء اليهود لم يحاولوا تشكيك المسلمين بنصوص القرآن نفسه، وقد ورد في إحدى رسائل الإمام ابن حزم الأندلسي رسالة تتضمن على ابن النخيلة وهو أحد اليهود الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس، وقد توصل إلى منصب الوزارة، وأواسط القرن الخامس الهجري، وتسلط على مقدرات الدولة أيام باديس، صاحب غرناطة، فقرب قومه اليهود وساعدهم على تثبيت اللغة اليهودية وبعث الثقافة اليهودية، وقد جرأته مكانته هذه فاغتر وطغى ولجكتف بذلك بل حاول التشكيك بأقدس شيء عند المسلمين، فكتب رسالة ينتقد فيها القرآن الكريم زعم وجود تناقض بين آياته فكان لا بد لابن حزم أن يتصدى لهذا التجني على القرآن فكانت حملته موجهة لليهود أولاً، حيث كتب رسالته الرد على ابن النخيلة اليهودي "ثم رسالة إلى من ولاهم ومكنهم من رقاب المسلمين وهم البربر أسماها "فضائح البربر"⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران، 67-69.

(2) انظر: التوراة واليهود، د. إبراهيم الحارثي، 15.

(3) سورة الحجر - 9.

(4) انظر: التوراة واليهود، د. إبراهيم الحارثي، 49.

المبحث الأول

التعريف بابن النغيلة ودواعي المناظرة بينه وبين ابن حزم

المطلب الأول : التعريف بابن النغيلة (993-1055م) :

هو صموئيل اللاوي بن يوسف بن نغيلة المشهور بين اليهود باسم «شموئيل هانجيد». وقد عرفه العرب باسم إسماعيل بن يوسف بن نغيلة . وهو رجل سياسة وشاعر وعالم وقائد عسكري عربي يهودي، ويُعدُّ أهم شخصية يهودية في الأندلس. وُلد في قرطبة من عائلة غنية، وأتقن العبرية والعربية واللاتينية ولغات البربر، كما درس القرآن الكريم والتوراة والتلمود على يدي حنوخ بن موسى في قرطبة. وكان يُشيع عن نفسه أنه من نسل داود . فرَّ من قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي بعد غزو المرابطين لها وفتح دكان توابل في ملقا، ثم ألحقه الملك حبوس بخدمته حيث عمَل بجمع الضرائب، ثم كاتباً ومساعداً للوزير أبي العباس . وبعد أن أيَّد باديس، في معركته ضد أخيه على العرش، كافأه الملك الجديد وقربه منه وعيَّنه وزيراً له بحيث أصبح ابن نغيلة من أهم الشخصيات في المملكة. وحيث إن باديس كان مستغرقاً في لذاته ومسراته، فإن ابن نغيلة كان الحاكم الفعلي، فقاد جيوش غرناطة في معاركها الدائمة مع أشبيلية، وحقق انتصارات عسكرية عديدة فيها . ألَّف ابن نغيلة عدة كتب في الشريعة اليهودية، من بينها مقدمة للتلمود، وحرَّر معجماً لعبرية التوراهما وضع كتاباً يطعن في الإسلام وكتابه الكريم، حيث أقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغنى بها . ومن شعره الذي نظم فيه القرآن قوله :

نقشت في الخد سطرًا من كتاب الله موزون
لن تتالوا البر حتى تتفقوا مما تحبون

فرد عليه أبو محمد بن حزم في كتاب سماه الرد على ابن نغيلة اليهودي . ومع هذا، كان ابن نغيلة مندمجاً تماماً في الحضارة العربية الإسلامية، فقلَّد أمراء عصره باجتذاب الشعراء وكون لنفسه حاشية منهم، وكان من بينهم عدد من الشعراء المسلمين . وكان هو نفسه يقرض الشعر باللغتين العربية والعبرية وله عدة دواوين . وتتناول قصائده العبرية موضوعات شتى. طعم الشعر العبري بفنون جديدة اقتبسها من الأدب العربي ، كالشعر القصصي والغزل ووصف المعارك ووصف الطبيعة والرياء ، عندما مات ابن النغيلة حزن عليه اليهود حزناً شديداً، حيث جللوا نعشه، ونكسوا له أعناقهم، وبكوه بحرارة، وخلفه ابنه يوسف الذي أصبح

ناغداً أي رئيساً للطائفة اليهودية في غرناطة ، غير أنه اتصف بغرور وغطرسة غ ير معهوده؛ فقد سخر من المسلمين ودينهم ، وكان يتهجم على القرآن الكريم وكذلك تجراً حتى على التوراة وأنه كان يحتقر كل الأديان (1).

المطلب الثاني : دواعي المناظرة بين ابن حزم وبين ابن النغيلة :

لم تكن مناظرة ابن حزم لابن النغيلة هي الأولى له ، فقد ناظر الطبيب ب الإسرائيلي إسماعيل بن يونس ودعاه للإسلام، كما أنه ناظر الكثير من اليهود ولكن لم تسعفا المراجع في توثيقها ودليل ذلك قول ابن حزم رحمه الله : " ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل "(2) وكان من دواعي هذه المناظرات :

أولاً : الاستجابة لأمر الله تعالى بالدعوة إلى الله وبيان الحق للناس حيث يقول تبارك وتعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ } (3)، ويقول أيضاً {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (4)، وخصوصاً من العلماء أمثال ابن حزم.

ثانياً : الدفاع عن دين الله ورد الشبه التي يثيرها المبطلون حول القرآن الكريم .

ثالثاً : كشف خبث وحقد اليهود على الإسلام وأهله على الرغم من إحسان المسلمين لهم في كنف دولة الإسلام .

(1) انظر اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس (92-897هـ)، لخالد الخالدي، رسالة دكتوراه مطبوعة،

نوقشت سنة 2000م، 149-165، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، 52/2.

(2) انظر: الفصل، لابن حزم، 233/1.

(3) سورة آل عمران-187.

(4) سورة النحل-125.

المبحث الثاني

ردود ابن حزم على ابن النغيلة اليهودي

المطلب الأول: الشبهة الأولى :

كان أول ما اعترض به هذا اليهودي على القرآن بزعمه : أن ذكر قول الله عز وجل (وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)⁽¹⁾ فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله ، وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد ، وأخبر أن كل ذلك من عند الله الله . قال : ثم قال في آخر هذه الآية : (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك)⁽²⁾ قال هذا اليهودي: فعاد مصوباً لقولهم ومضاداً لما قدم في أول الآية .

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري :

قال ابن حزم-رحمه الله-: والآية المذكور مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل ، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلب وجه لتأليفها .

وبيان ذلك: أن الكفار كانوا يقولون : إن الحسنات الواصلة إليهم هي من عند الله عز وجل ، وأن السيئات المصيبة لهم في دنياهم هي من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ، وبين وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها ، بأن الحسنات السارة هي من عند الله تعالى بفضلته على الناس ، وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنساناً في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجنى على نفسه من تقصيره فيما يلزمه من أداء حق الله تعالى الذي لا يقوم به أحد ، وكل ذلك من عند الله جملة ، فأحد الوجهين وهو: أن الحسنات فضل من الله تعالى مجرد ، لم يستحقه أحد على الله تعالى ، حتى يفضل به عز وجل من أحسن إليه من عباده ، والوجه الثاني وهو: أن السيئات تأديب من الله تعالى ، أوجبه على المصاب بها تقصيره عما يلزمه من واجبات ربه تعالى .

فإنما أنكر الله تعالى على الكفار في الآية المتلوة أنفاً قولهم للنبي ﷺ : إن ما أصابهم من سيئة فهي منك يا محمد ، وأخبر عم وجل أنها من عند أنفسهم ، وأن كل ذلك من عند الله تعالى . فلم يفرق اليهودي بين ما أوجبه الله تعالى من أن كل من أصابته سيئة فمن نفسه ، وبين ما ذكر الله

(1) سورة النساء - 78 .

(2) المصدر السابق - 79 .

تعالى من قول الكفار لمحمد ٢: إن ما أصابهم من سيئة فمك يا محمد ! فأى ظلم يكون أعظم من ظلم من جهل أن يفرق بين معنى هذين اللفظين ؟!

وإنما كان الكفار يتطرون بمحمد ٢ عندما يرد عليهم من نكبة تعرض لهم بكفرهم وخلافهم له U، كما تطير إخوانهم قبلهم بموسى U⁽¹⁾ إذ قال تعالى حاكياً عنهم قولهم : (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه، ألا إن طائرهم عند الله)⁽²⁾ . قال أبو جعفر الطبري في جامعه : يعني جل ثناؤه بقوله : (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ) ، ما يصيبك، يا محمد، من رخاء ونعمة وعافية وسلامة، فمن فضل الله عليك، يتفضل به عليك إحساناً منه إليك، وأما قوله : " وما أصابك من سيئة فمن نفسك "، يعني : وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه، "فمن نفسك" ، يعني : بذنب استوجبتها به، اكتسبته نفسك"⁽³⁾ .

وقال القرطبي في جامعه أيضاً : يقول المفسرون وعلماء التأويل في سبب نزول الآية : (إن تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ...) ، عن ابن عباس وغيره أنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنه لما قدم رسول الله المدينة عليهم قالوا : مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم عليها هذا الرجل وأصحابه ، قال ابن عباس t : ومعنى "من عندك" أي بسوء تدبيرك وقيل : بشؤمك الذي لحقنا، قالوه على جهة التطير قال الله -تعالى- : " قل كل من عند الله " أي الشدة والرخاء والظفر والهزيمة من عند الله أي بقضاء الله وقدره ، وأما قوله تعالى : (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ) أي ما أصابك يا محمد من خصب ورخاء وصحة وسلامة فيفضل الله عليك وإحسانه إليك، وما أصابك من جذب وشدة فبذنب أتيت به عوقبت عليه، والخطاب للنبي المراد أمته، أي ما أصابكم يا معشر الناس من خصب واتساع رزق فمن تفضل الله عليكم، وما أصابكم من جذب وضيق رزق فمن أنفسكم أي من أجل ذنب وقع ذلك بكم⁽⁴⁾ .

وقال سيد قطب في ظلاله : حين يتبع الإنسان منهج الله فإن الله يعينه على الهدى كما قال -تعالى- : (الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)⁽⁵⁾ . فتكون الحسنة من عند الله لأن الله هو الذي سن المنهج، وشرع الطريق، ودل على الخير وأعان عليه وحين لا يتبع

(1) انظر: الرد على ابن النغيلة، لابن حزم ، 49 .

(2) سورة الأعراف-131.

(3) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري ، 111/4 .

(4) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط ، 1، دار الكتب العلمية- بيروت، 1988م، 184-183/5 .

(5) سورة العنكبوت-69 .

الإنسان منهج الله ولا يسلك طريقه فحينئذ تصبه السيئة الحقيقية سواء في الدنيا أو في الآخرة وتكون هذه من عند نفسه، ولا يغير هذا من الحقيقة الثابتة وهي أن تحقق الحسنة وتحقق السيئة ووقوعهما لا يتم إلا بقدره الله وقدره لأنه هو المنشئ لكل ما ينشأ، المحدث لكل ما يحدث⁽¹⁾ .

قال الشيخ خليل ياسين في تفسيره : (إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) يظهر من هذه الآية أن الخير والشر، هما من الله، وهذا لا يجوز عليه سبحانه، بل الخير منه والشر من الناس، كما جاء في الآية التي بعد هذه المَلِكَةُ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ .) . كان الناس على عهد محمد ٣ إذا وقعوا في السراء والضراء، والبؤس والرخاء، النعمة والمصيبة، والخصب أو الجذب، نسبوا الخير إليه سبحانه، وما منوا به من ضراء أو بؤس نسبوه إلى محمد ٣، والحقيقة أن جميع ما يطرأ عليهم من موت وحياة وخصب وجذب إلى غير ذلك، من قضاء الله وقدره، أما الخير فنعمة يمن الله بها على عباده وأما مآذاه فإنما يحصل بنتيجة منعه فضله عنهم، ولطفه أن يحوطهم به، لأنهم لذلك مستحقون، وهذا معنى قوله تعالى : (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)⁽²⁾⁽³⁾ .

نلاحظ من خلال استعراض جميع الأقوال السابقة حول تلك الآيات أن أقوال ابن حزم-رحمه الله-تتوافق تماماً مع أقوال هؤلاء المفسرين سواء القدامى أمثال الطبري أو المحدثين أمثال سيد قطب وهذا لعلنا أن القضية موضوع البحث تتعلق بالقضاء والقدر ومعلوم أن ابن حزم يوافق أهل السنة والجماعة في هذه المسألة .

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة :

لم يقتصر جهد ابن حزم على إزالة الالتباس الذي زعمه ابن النغيلة بين الآيتين بل تعدى ذلك إلى إثبات التناقض في التوراة ، إذ يقولون في السفر الرابع عن موسى ١١ أنه قال مخاطباً لله ١١ : "يا رب، كما حلفت قائلاً : "الرب وديع ذو حن عظيم ، يعفو عن الذنب والسيئة ، وليس ينسى شيئاً من المآثم ، الذي يعاقب بذنب الوالد ، الولد في الدرجة الثانية والرابعة"، ويقرءون أيضاً في أول السفر الأول : "إن قايين ابن آدم عاقبه الله في السابع من

(1) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط 10، دار الشروق-القاهرة، 1981م، 719/5 .

(2) سورة النساء - 78 .

(3) أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين-دار ومكتبة الهلال-بيروت، ط 1980م، 2، 171/1-172).

ولده " (1) وقد ورد في توراتهم الحالية بخصوص هذا "لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ،
لَأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ
مُبْغِضِيَّ." (2)

ثم يقرعون في السفر الخامس من الكتاب المذكور: "إن الله | قال لموسى : لا تقتل الآباء
لأجل الأبناء، ولا الأبناء لأجل الآباء، ألا كل واحد يقتل بذنبه. أما ما ورد هذا في توراتهم
الحالية: ²⁰النَّفْسُ الَّتِي تَخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الْإِبْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ، وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ
الْإِبْنِ. بَرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشَّرِيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ." (3).

فلو تفكر هذا اليهودي بعظيم التناقض عنده، لشغله عظيم مصابه عن أن يظن بقول الله
-تعالى الذي هو الحق الواضح الواحد غير المختلف : (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُوْلَاءِ الْقَوْمِ
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَدٍ نَّهَ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ) وهذا
ما بيناه كما مر آنفاً أنه لا مجال للتناقض فيه أصلاً، وإنما التناقض المحض ما نسبوا إلى موسى
لأنه قد طلب من ربه أن يغفر الذنب لفاعله، ويعاقب بذلك الذنب من كان من ولد المذنب
في الدرجة الرابعة، ثم يقول في مكان آخر، ألا تقتل الأبناء لأجل الآباء، ولا الآباء لأجل
الأبناء، هذا مع إقرارهم بأنه ليس في التوراة ذكر عذاب ولا جزاء بعد الموت أصلاً، وإنما
فيها الجزاء بالثواب والعقاب في الدنيا فقط، فهذا هو التناقض المجرد الذي لا خفاء به (4).

كذلك يلاحظ عدم التطابق بين نصوص التوراة التي اعتمدها ابن حزم بالنصوص الحالية
مما يدل على أن يد التحريف لم تتوقف.

المطلب الثاني : الشبهة الثانية :

وكان مما اعترض به أيضاً أن ذكر قول الله تعالى: (أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا
فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) (5) .. قال: فذكر في هذه الآية أن دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى منها
كان بعد رفع سمك السماء وبعد بنائها وتسويتها وإحكام ليلها ونهارها، ثم قال في آية أخرى :
(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ

(1) انظر: الرد على ابن النغريلة، لابن حزم، 51 .

(2) الخروج، 5/20

(3) حزقيال 20/18

(4) انظر: الرد على ابن النغريلة، لابن حزم، 51 .

(5) سورة النازعات، 27-32

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁽¹⁾ . قال ابن النخيلة : فذكر في هذه الآية ضد ما في الأولى ، وذلك أن هذه التسوية للسماء كانت بعد خلق ما في الأرض .

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري :

يقول ابن حزم رحمه الله : والقول في هذا كالقول في التي قبلها ، ولا فرق ، وهو أن بظاهر هاتين الآيتين يُكتفى عن تطلب تأويل أو تكلف مخرج، وهو أنه تعالى ذكر في الآية أولاً أنه عز وجل بنى السماء ، ورفع سمكها ، وأحكم الدور الذي به يظهر الليل والنهار ، وأنه بعد ذلك أخرج ماء الأرض ومرعاها ، وأرسى الجبال فيها . وذكر تعالى في الآية الأخرى أن تسويته تعالى السموات سبعاً وتفريقه بين تلك الطوائف السبع التي هي مدار الكواكب المتحيرة والقمر والشمس كان بعد خلقه كل ما في الأرض، فلم يفرق هذا اليهودي بين قوله تعالى : إنه سوى السماء ورفع سمكها ، وبين قوله تعالى : إنه سواهن سبع سموات ، وإنما أخبر تعالى أن تسوية السماء جملة لاختراعها كان قبل دحو الأرض ، وأن دحوه الأرض كان قبل أن تقسم السماء على طرائق الكواكب السبع ، فلاح أن الآيتين متفقتان ، يصدق بعضهما بعضاً⁽²⁾ .

قال الطبري: وقوله : "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" : فقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله "بعد ذلك"، فقد قال ابن عباس t : أن الله -تعالى- خلق الأرض ، وقدر فيها أقواتها ولم يدحها ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها ومرعاها ، وأرسى جبالها ، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل ، لأنه جل ثناؤه قال : "والأرض بعد ذلك دحاها" ، والمعروف من معنى (بعد) أنه خلاف معنى (قبل) وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السموات السبع ، وإعطاشه ليلها ، وإخراجه ضحاها ، ما يوجب أن تكون الأرض بعد خلق السموات لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب والمد ، يقال منه: دحا يدحو دحواً⁽³⁾ .

وقال سيد قطب : دحو الأرض أي تمهيدها وبسط قشرتها بحيث تصبح صالحة للسير وتكوين تربة صالحة للإنبات وإرساء الجبال لاستقرار سطح الأرض كل أولئك كان بعد بناء السماء وبعد إغطاش الليل وإخراج الضحى، والنظريات الفلكية الحديثة تقتض أن قد مضى على الأرض مئات الملايين من السنين وهي تدور دوراً تها ويتعاقب الليل والنهار عليها قبل دحوها وقبل قابليتها للزرع وقبل استقرار قشرتها على ماهي عليه من مرتفعات ومستويات⁽⁴⁾ .

(1) سورة البقرة - 29.

(2) انظر: الرد على ابن النخيلة ، لابن حزم ، 51 .

(3) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، 111/26-112.

(4) في ظلال القرآن، لسيد قطب، 3816/30-3817 .

قال الفخر الرازي ظاهر الآية في سورة النازعات كون الأرض بعد السماء وقوله "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوي إلى السماء" يقتضي كون السماء بعد الأرض ولتوضيح ذلك: إن الله خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء ثانياً ثم دحى الأرض أي بسطها ثالثاً⁽¹⁾. قال الشيخ خليل ياسين: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)⁽²⁾. ظاهر قوله -ثم استوى- أنه خلق الأرض قبل السماء، لأن ثم للترتيب والتراخي ويعارض هذا قوله تعالى في سورة النازعات (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) فكيف يجمع بينهما؟ والجواب: أن الله -تعالى- خلق الأرض قبل السماء، غير أنه لم يدحها، فلما خلق السماء دحاهما بعد ذلك، ودحوها؛ بسطها، ومدّها⁽³⁾.

يلاحظ أنه يوجد تشابه بين أقوال المفسرين وأقوال ابن حزم وإن كانت أقوال المفسرين أكثر توضيحاً لهذه المسألة سواء الطبري أو الرازي أو سيد قطب أو الشيخ خليل ياسين.

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة :

يرجع ابن حزم -رحمه الله- فكرياً ذلك لليهودي بما عندهم من التناقض قائلاً : ليذكر هذا الجاهل على ما يفتتحون به كذبه المفتري وبهتانهم المخلوق الذي يسمونه (التوراة)، إذ يفترّون أن الله -تعالى- خلق إنساناً مثله، ولم يكن انفرد عنه -تعالى- إلا بشيئين: علم الشر والخير، ودوام الخلود والحياة. وأن آدم صلوات الله وسلامه عليه أكل من الشجرة التي فيها علم الخير والشر، فلما خالفه عظم ذلك عليه ؛ قال: هذا آدم أكل من الشجرة التي بها يكون علم الخير والشر فسوانا في ذلك، فإن أكل من شجرة الحياة حصل على الخلد فكان مثلاً لا فضل لنا عليه ، فجعل يخرج من الجنة وفي يده سيف يذود به عن شجرة الحياة . حتى إن جماعة منهم قالوا: إن الخالق لآدم كان إنساناً من نوع الإنس الذي نحن منه، حصل على أكل شجرة الحياة، فزاد بهاؤه ، وحصل له الخلد⁽⁴⁾، حيث تذكر التوراة (22) وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُ: «هُؤَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالْإِلَهُ لَعَلَّه يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ ». ⁽²³⁾ فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا . ⁽²⁴⁾ فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ⁽⁵⁾، وَلَهَبَ سَيْفٌ مُتَقَلِّبٌ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.⁽⁶⁾

(1) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ط2، دار الكتب العلمية - طهران، 48/31 .

(2) سورة البقرة- 29 .

(3) أضواء على متشابهات القرآن، للشيخ خليل ياسين، 39/1.

(4) انظر: الرد على ابن النغريلة ، لابن حزم ، 52 .

(5) الكروبيم : ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى، اقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها ، ويقال عنهم أنهم نوو جناحين. عن قاموس الكتاب المقدس.

(6) التكوين، 22/3-24

فهنا نلاحظ أن ابن حزم -رحمه الله- جاء من التوراة ما يتحدث عن بداية الخلق ذو العلاقة مع الآيات التي جاء بها هذا اليهودي ليتضح الفرق الهائل بينها وبين القرآن الكريم، فهنا سوء فهم لهذه الآيات وهناك التشبيه وعدم التنزيه لله حيث الخوف أن يأكل آدم من شجرة الخلد فيصبح إلهاً مثله -تعالى- عن ذلك علواً كبيراً-.

المطلب الثالث : الشبهة الثالثة:

وكان مما اعترض به ابن النخيلة أنه ذكر قول الله (قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) إلى منتهى قوله في الآية نفسها (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلنَّاسِ لِيَوْمَ)⁽¹⁾ . قال: فذكر في هذه الآية خلق الأرض في يومين، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، فهذه ستة أيام ثم ذكر قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ⁽²⁾ إلى منتهى قوله تعالى: (فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)⁽³⁾ . ثم ذكر قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)⁽⁴⁾ .

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري :

قال ابن حزم -رحمه الله-: والقول في هذه الآية كالقول في التي مضى فيها الكلام ، ولا فرق ، وهي أنها تكفي بظاهرها عن تكلف تأويل لها ، وأنه لا يظن في شيء من هذا كله اختلافاً إلا عديم العقل ، سلب التمييز . لأنه -تعالى- إنما ذكر خلق الجميع من السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فسر لنا -تعالى- تلك الأيام الستة فمنها يومان خلق فيهما الأرض ، ومنها أربعة أيام قدر في الأرض أقواتها ، وأنه -تعالى- قضى السموات سبعا في يومين، وقد صح بما تلونا قبل أن تسويته -تعالى- السموات سبعا كان بعد خلقه لما في الأرض جميعاً، فاليومان اللذان خلق الله -تعالى- فيهما السموات سبعا هما اليومان الآخرا من الأربعة الأيام التي قدر فيها أقوات الأرض؛ لأن التقدير هو غير الخلق، لأن الخلق هو الاختراع والإبداع وإخراج الشيء من ليس إلى أيس؛ بمعنى من لا شيء إلى أنه يكون شيئاً موجوداً، وأما التقدير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودات بعد إيجادها ، وهذه معان لا يعلمها إلا من أعز الله -تعالى- نفسه من ذوى الهمم الرفيعة، المعاش القاصدة إلى طلب المعاني الفاضلة والحقائق المؤدية إلى معرفة الله -تعالى-، ومعرفة رسوله ﷺ⁽⁵⁾ .

(1) سورة فصلت - 10 .

(2) المصدر السابق - 11 .

(3) المصدر السابق - 12 .

(4) سورة ق - 38 .

(5) الرد على ابن النخيلة ، لابن حزم ، 53 .

ويقول الطبري-رحمه الله-إن اليهود قد سألوا الرسول ٣ عن حكاية الخلق هذه لكنهم ما كانوا يسألون عن عدد الأيام فلا يوجد لبس في القرآن أو في التوراة أن الله خلق كل ما في كلون في ستة أيام حيد ثلث اليهود في يثرب عاشو ١ مع العرب وعرفوا العربية كما يعرفها أهلها فما كان من لبس ولا غموض في هذه الآية في ذلك الحين، لكن ابن النخيلة عاش في الأندلس في القرن الخامس الهجري فهو لابد محتاج لشرح أساليب العرب¹ ولكن سؤال يهود يثرب كان عن ماذا فعل الله في اليوم السابع، فالتوراة تقول أن الله استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت الذي تقدسه اليهود ويحرمون فيه العمل على كل يهودي يؤمن بالتوراة، ونفى القرآن أن يكون الله قد استراح ، قال تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)⁽²⁾ .

ويفسر القرطبي: قوله -تعالى-: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيْنِ) في أربعة أيام يعني تنمة أربعة أيام ومثاله قول القائل خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي تنمة خمسة عشر يوماً، فقضاهن سبع سموات في يومين سوى الأربعة أيام التي خلق فيها الأرض، فوق خلق السماوات والأرض في ستة أيام⁽³⁾ .

قال الشيخ خليل ياسين : من خلال استعراض الآيات من (10-12) من سورة فصلت يظهر أن الله -تعالى- خلق السماوات و الأرض في ثمانية أيام ، وهذا منقوض في سبعة مواضع من القرآن بما معناه أنه سبحانه خلق السماوات والأرض في ستة لأيام لا ثمانية، ولحل هذا الاعتراض نقول : أن الله -تعالى- خلق الأرض يومي الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام وذلك معنى قوله في الآية (قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ)* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) ، (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام) ؛ أي تنمة أربعة أيام، من حين ابتداء الخلق، فاليومان الأولان داخلان في حساب الأربعة أيام ومن جملتها كما تقول خرجت من لبنان إلى فرنسا في عشرة أيام وإلى الأرجنتين في عشرين يوماً، فتكون الرحلتان في عشرين يوماً، لا ثلاثين، وقوله (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ) وهما يوم الخميس ويوم الجمعة، فهذه ستة أيام، وعليه فلا تناقض بين الآيات⁽⁴⁾ .

(1) نظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، 111/26-112.

(2) سورة ق-38.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 224/15-225 .

(4) أضواء على متشابهات القرآن، للشيخ خليل ياسين، 181/2-182.

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة:

يرجع ابن حزم -رحمه الله- مذكراً ذلك اليهودي بما في كتابهم الذي يسمونه (التوراة) قائلاً: "لَيْتَ هذا اليهودي الذي اعترض بهذا الاعتراض على هذه الأنوار الساطعة والحقائق الظاهرة انشغل في التفكير فيما يقرّ عونه من هذيانهم المخترع وزورهم المفتعل الذي يسمونه "التوراة" إذ يقولون: إن الله -تعالى- خلق الخلق في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع حيث تذكر التوراة الحالية: "فَأَكْمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا .² وَفَرَغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ . فَاسْتَرَأَحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ .³ وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَأَحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللَّهُ خَالِقًا"⁽¹⁾.

يقول ابن حزم -رحمه الله- : وهل يكون الراحة إلا لتعب ونصب قد خارت قواه وضعفت طبيعته ؟ ! فمثل هذا وشبهه من دينه المحرف⁽²⁾ .

وفي نسبة التعب إلى الله تبارك و -تعالى- تشبيهه بمخلوقاته وإضافة صفات النقص له، والله -تبارك وتعالى- عن كل ذلك فهو الموصوف بكل صفات الجلال والجمال والامنزه عن أي صفة من صفات النقص وقد رد الله على يهود بقوله : "(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)"⁽³⁾⁽⁴⁾.

المطلب الرابع : الشبهة الرابعة :

ذكر هذا اليهودي أن قول الله -تعالى- : "(هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)"⁽⁵⁾، وقوله تعالى في آية أخرى (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا)⁽⁶⁾ ، فيه تناقض عظيم، مرة لا ينطقون ومرة أخرى تأتي كل نفس تجادل عن نفسها هذا يوم البعث.

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري :

قال ابن حزم -رحمه الله- : إن المنع من النطق المذكور في الآية إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة ، وإن الجدال المذكور في الآية الأخرى هي موقف آخر مما يتلو ذلك اليوم

(1) التكوين، 3-1/2

(2) انظر: الرد على ابن النغيلة ، لابن حزم ، 54 .

(3) لُغُوبٌ: تعب وإعياء ، انظر: كلمات القرآن تفسير وبيان، حسين مخلوف ، 330.

(4) سورة ق-38.

(5) سورة المرسلات -35.

(6) سورة النحل-111.

نفسه، وهذا قول صحيح، يبينه قول الله -تعالى- قبل الآية المذكورة، إذ يقول ل: (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جملة صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون⁽¹⁾) فيه بعدر، هكذا نص الآيات متتابعات ، لا فصل بينها ، فيصح أن اليوم الذي لا ينطقون فيه بعدر إنما هو يوم إدخالهم النار ، وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب ، وهو أيضاً يوم جدال كل نفس عن نفسها ، وهذا بيان لا إشكال فيه أصلاً ، وها هنا وجه آخر، وهو اتباع ظاهر الآيتين دون تكلف تأويل ، إلا أن يأتي التأويل نص آخر أو إجماع ، إن هاتين الآيتين بينتان لا اختلاف بينهما أصلاً، وإن النطق المنفى عنهم في الآية الأولى والمعدرة التي لم يؤذن لهم فيها إنما ذلك فيما عصوا فيه خالقهم -تعالى-، كما قال ل في آية أخرى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون⁽²⁾) فلا عذر لكافر ولا لعاص أصلاً، ولا كلام له، وأما الجدال الذي ذكر الله -تعالى- حينئذ عن نفسها ، فإنما هو في طلب الناس مظالمهم بعضهم من بعض، فإن الله -تعالى- لا يضيع شيئاً من ذلك، على ما صح عن النبي ٢ "من أن في يوم القيامة يقص الشاة الجماء من الشاة القرناء"⁽³⁾،

وبيان هذا الذي قلنا أن المعذرة إنما هي إلى الله تعالى-، ولا عذر يوم القيامة لمن كفر بالله -تعالى- أو بنبي من أنبيائه وخالف الإسلام ، وهذا هو الذي يكون يوم القيامة ، ولا يعذر عليه أحد ، فالله -تعالى- لا يجادل، وإنما يجادل الناس بعضهم بعضاً ، فكل أحد حينئذ يجادل مهظيقتص منه ، وهذا ما لا يعرى منه مؤمن ولا كافر ، فاستبان معنى الآيتين بظاهرهما دون تكلف تأويل ، وبطل ما ظنه هذا الجاهل⁽⁴⁾.

يقول الطبري: هذا يوم لا ينطقون "أي أهل التكذيب بثواب الله وعقابه" لا يؤذن لهم فيعتذرون⁽⁵⁾ ما اجترموا في الدنيا من الذنوب ، فإن قال قائل : وكيف قيل "هذا يوم لا ينطقون" وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون "ربنا أخرجنا منها"⁽⁵⁾ ، وأنهم يقولون : (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين في⁽⁶⁾) نظائر ذلك مما أخبر الله ورسوله عنهم أنهم يقولونه ؟ قيل :

(1) سورة المرسلات 29 - 36.

(2) سورة يس - 65 .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث 2581، 1997/4

(4) انظر: الرد على ابن النغيلة ، لابن حزم ، 56 .

(5) سورة المؤمنون - 107 .

(6) سورة غافر - 11 .

إن ذلك في بعض الأحوال دون بعض . وقوله: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ " يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم ، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله ، فإن قال: فهل من برهان يعلم به حقيقة ذلك ؟ قيل : نعم ، وذلك إضافة يوم إلى قوله " لا ينطقون " والعرب لا تضيف اليوم إلى فعل يفعل ، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه ، وذلك كقولهم : آتيتك يوم يقدم فلان ، وأتيتك يوم زارك أخوك ، فمعلوم أن معنى ذلك : أتيتك ساعة زارك ، أو آتيتك ساعة يقدم ، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله⁽¹⁾ .

يقول البغوي: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ " ، وفي القيامة مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون.⁽²⁾

يقول الشوكاني: "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ " أي لا يتكلمون ، قال الواحدي: قال المفسرون: في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون ، . وقيل إن هذا إشارة إلى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون، لأن مواقف السؤال والحساب قد انقضت، وقال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون⁽³⁾

قال الشيخ خليل ياسين إن يوم القيامة كما قال سبحانه : (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)⁽⁴⁾، في هذا اليوم يسألون فيه ولا يسألون، لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون، فإذا انتهت المسألة وجبت الحجة، وانقطع الكلام، وذهب الخصام، واسودت وجوه قوم، وابيضت وجوه قوم آخرين، وعرف الفريقان بسيماهم، وتطايرت الصحف إلى الأيدي، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار، ففي المرحلة الأولى يسألون ، وفي الثانية لا يسألون؛ وبهذا يزال التعارض بين الآيتين⁽⁵⁾ .

يلاحظ أن ابن حزم -رحمه الله- قد وضع هذه المسألة بتفصيل ووضوح تام حيث اشتمل على جميع أقوال المفسرين المذكورين وزيادة .

(1) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، 29/ 148 - 149 .

(2) انظر: تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط1 ، دار الكتب العلمية-بيروت ، 4، 1875/1993 .

(3) انظرتج القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط1 دار ابن حزم للطباعة -بيروت، 2000م، 961 .

(4) سورة المعارج - 4 .

(5) انظر: أضواء على متشابهات القرآن، للشيخ خليل ياسين، 2/ 95 .

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة :

ويعقب ابن حزم-رحمه الله- قائلاً: ليس في حماقاتهم المبدلة التي يسمونها (التوراة) ذكر أجر، لا ثواب لمحسن بعد الموت، ولا عقاب لمسيء في الدنيا أصلاً، ولا في الكتب التي ينسبونها إلى أنبيائهم من هذا قليل ولا كثير . فلو نظر هذا المجنون فيما ينسبونه إلى سليمان U في تصويبه دعاء امرأة دعت له فقالت: ولا زالت أرواح أعدائك يدور بها الفلك، وهذا إبطال الثواب والعقاب إلا على معنى التناسخ، ومضاد لما ذكره عن غيره من الأنبياء أن هنالك ناراً ونعيماً، ومثل ما ينسبونه أيضاً إليه U من أنه قال مرة: إن العالم لا أول له، وأنه قال مرة أخرى: أنا كنت مع الله -تعالى- حين خلق الأرض والسماء⁽¹⁾ ، فلو أن هذا الجاهل الشقي اشتغل بمثل هذا وشبهه من كذبهم وافترائهم لكان أولى به من تكلف ما لا يحسن ولا يدرى ، مما قد فضحه الله فيه عاجلاً ، ويخزيه آجلاً، فهنا يربط ابن حزم-رحمه الله- بين آيات القرآن التي تتحدث تفاصيل ما سيحدث يوم القيامة والتي حاول هذا اليهودي عن سوء فهم أن يقول أن فيها تعارض وفي نفس الوقت يتناسى هذا اليهودي ما في توراتهم من عدم ذكر لهذا اليوم وبالتالي زعزعة ثاني ركن من أركان الإيمان .

المطلب الخامس: الشبهة الخامسة :

يقول ابن حزم -رحمه الله-: "ذكر هذا الجاهل قول الله -تعالى-: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ)⁽²⁾ ثم قال في آية أخرى فَلْيَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْيَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ⁽³⁾ قال: وهذا تناقض؛ أي مرة لا يسأل أحد عن ذنبه يوم القيامة وفي الآية الأخرى سيسأل الجميع.

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري :

يعلق ابن حزم -رحمه الله- : لو فهم هذا المائق الجاهل أدنى فهم لم يجعل هذا تعارضاً. أما قوله -تعالى- (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) فإن ما بعد هذه الآية متصلاً بها قوله -تعالى-: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)⁽⁴⁾ فصح بهذا النص أن هذا إنما هو في حين إيرادهم جهنم التي هي إن شاء الله

(1) الرد على ابن النغريلة ، لابن حزم ، 56 .

(2) سورة الرحمن -39.

(3) سورة الأعراف-6.

(4) سورة الرحمن 40 — 45.

دار هذا الخسيس ذي الظهارة اليهودية والبطانة الدهرية ، ولا ريب في أنه إذا أخذ بناصره وقدميه ليهوى بها في النار نار جهنم فإنه لا يسأل عن دينه يومئذ، وأما قوله -تعالى-: (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) ، فإنما ذلك في أول وقوفهم يوم البعث وحين المسألة والحساب⁽¹⁾ فارتفع التناقض الذي لا مدخل له في شيء من القرآن، ولا في كلام النبي ﷺ⁽²⁾.

يقول الطبري: في تفسير آية 39 من سورة الرحمن يقول -تعالى-: فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم؛ لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: عن ابن عباس يقول -تعالى- (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) قال: لا يسألهم عن أعمالهم ولا يسأل بعضهم عن بعض وعن قتادة t قال: حفظ الله لـ عليهم أعمالهم⁽³⁾. ويقول في تفسير آية 6 من سورة الأعراف: لنسألن الأمم الذين أرسلت إليهم رسلي: ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي؟ هل عملوا بما أمرتهم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه؟ وأطاعوا أمري، أم عصوني فخالفوا ذلك؟ ، "ولنسألن المرسلين"، يقول: ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم، هل بلغوا رسالاتي؟ ، وأدوا ما أمرتهم بأدائه؟ أم قصرُوا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم؟ وكذلك عن ابن عباس t قوله: "فلنسألن الذين أرسل إليهم، إلى قوله غائبين"، قال: يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون. يقول: فلنسألن الأمم: ما عملوا فيما جاءت به الرسل؟ ولنسألن الرسل: هل بلغوا ما أرسلوا به⁽⁴⁾.

يقول القرطبي في تفسيره: يقول (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) (هذا مثل قوله -تعالى-: (وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُدْعَىٰ ذُنُوبُهُمُ الْمُجْرِمُونَ)⁽⁵⁾ وأن القيامة مواطن لطول ذلك اليوم فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض وهذا قول عكرمة t، وقيل المعنى: لا يسألون إذا استقروا في النار، وقال الحس وفتادة لا يسألون عن ذنوبهم لأن الله حفظها عليهم وكتبت عليها الملائكة ، والجمع بين قوله -تعالى- (وَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)⁽⁶⁾ وقوله (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) وقال: لا يسألهم ليعرف ذلك منهم، لأنه أعلم بذلك منهم، ولكنه يسألهم لم عملتموها

(1) الرد على ابن النغيلة، لابن حزم، 57 .

(2) انظر: جامع البيان ، للطبري، 83/27.

(3) الرد على ابن النغيلة ، لابن حزم، 57 .

(4) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري ، 89/8 .

(5) سورة القصص-78 ..

(6) سورة الحجر -92 .

سؤال توبيخ، وقال أبو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم⁽¹⁾ .

يقول الفخر الرازي :كيف يمكن الجمع بين الآية (فَيَوْمَئِذٍ نَّاسُأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَنَاسٌ جَانٌّ) وبين قوله-تعالى-: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (وكذلك (فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) وقوله-تعالى(وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)⁽²⁾، هناك جوابان : أحدهما: أن الآخرة مواطن، فلا يسأل في موطن ويسأل في موطن آخر . ثانيهما: وهو أحسن، لا يسأل عن فعله أحد منكم ولكن يسأل لم فعل الفاعل فلا يسأل سؤال استعمال بل يسأل سؤال توبيخ⁽³⁾ .

قال الشيخ خليل ياسين :القول في هذه المسألة كالقول في التي سبقتها حيث أن يوم القيامة مواطن⁽⁴⁾ .

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة:

يقول ابن حزم -رحمه الله-: " لكن هذا الوقاح⁽⁵⁾ المجنون لو تدبر ما في كذبهم المفترى الذي يسمونه (التوراة) في السفر الثاني منه أن الله -تعالى- قال لموسى بن عمران: إني أرى هذه الأمة قاسية الرقاب ، دعني لأعقبضبى عليهم لأهلكهم وأقدمك على أمة عظيمة . ثم ذكروا أن موسى دعا ربه ١ وقال في دعائه: تذكر إبراهيم وإسرائيل وإسحق عبيدك الذين حلفت لهم بذلك ، وقلت لهم : سأكثر ذريتكم حتى تكونوا كنجوم السماء وأورثهم جميع الأرض التي وعدتهم بها ويملكونها أبداً . فحن السيد، ولم يتم ما أراد إنزاله بأتمته من المكروه⁽⁶⁾ .

قال ابن حزم -رحمه الله-:"هذه صفة لا يوصف بها إلا الإنسان ضعيف النفس ، وفيه البداء ، وأنه ١ لم يتم ما أراد أن يفعل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً."⁽⁷⁾ هنا يربط ابن حزم في

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 113/17-114 .

(2) سورة الصافات -24.

(3) انظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي ، 119/29 .

(4) انظر: أضواء على متشابهات القرآن، للشيخ خليل ياسين ، 95 /2 .

(5) الوقاحة: هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة ورجل وقاح إذا كان صبوراً ماكثاً على جرأته على القبائح انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، ط1، دار مكتبة الحياة-بيروت، 1306هـ ، 1793/1 .

(6) انظر: الخروج، 11/32-15

(7) انظر: الرد على ابن النغريلة ، لابن حزم، 58 .

ما يسمونه (التوراة) والتي تتحدث عن تغيير موقف الله U يوم القيامة؛ أي نسبتهم البداء لله U وتشكيك ابن النغيلة في الآيات، والذي صح بطلانه .

المطلب السادس : الشبهة السادسة :

يقول ابن حزم -رحمه الله-: "ثم ذكر هذا الجاهل قول الله -تعالى- مخاطباً لنبيه ٣: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)⁽¹⁾ قال هذا الجاهل : فهذا محمد كان في شك مما ادعاه .

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري:

قال ابن حزم -رحمه الله -: كان يلزم هذا الجاهل أن لا يتكلم في لغة لا يحسنها ، ولكن أبى الله -تعالى- أن يكشف سوءته ويبدى عورته . وليعلم أن (إن) في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط ، لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه وينازع فيه أهل الأرض ويدين به أهل البلاد العظيمة ثم يقول لهم : إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون.. إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في مثل دماغ هذا المجنون الجاهل .

وإنما معنى إن ها هنا الجحد ، فهي هنا بمعنى (ما) وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية ، كما قال تعالى أمراً نبيه ٣ أن يقول : (إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)⁽²⁾ بمعنى : ما أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، كما ذكر الله عز وجل عن الأنبياء أنهم قالوا : (إن نحن إلا بشر مثلكم)⁽³⁾ وكما قال تعالى مخبراً عن النسوة إذ رأين يوسف عليه السلام فقلن : (إن هذا إلا ملك كريم)⁽⁴⁾ بمعنى : ما هذا إلا ملك كريم ، وكما قال تعالى : (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين)⁽⁵⁾ أي ما كنا فاعلين .

فعلى هذا المعنى خاطب نبيه عليه السلام : فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، ثم قال تعالى: (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك) . بمعنى : ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك ما هم أيضاً في شك مما أنزلنا إليك ، بل هم موقنون بصحة قولك وأنت نبي حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عندهم في أن الذي جاءك

(1) سورة يونس - 94 .

(2) سورة الأعراف - 188

(3) سورة إبراهيم - 11

(4) سورة يوسف - 16

(5) سورة الأنبياء - 17

الحق، ومثل هذا أيضاً قوله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)⁽¹⁾ تهويناً له ، وكذلك قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)⁽²⁾ بمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول الجاحدين لا يكون له ولد، فوضح جهل هذا المعترض وضعف تمييزه .

يقول الطبري-رحمه الله -: في تفسير : (فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) مسائل عدة⁽³⁾:

1- فإن كنت، يا محمد، في شك من حقيقة ما اخترناك فأنزّلنا إليك أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً، ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، من أهل التوراة والإنجيل، كعبد الله بن سلام ونحوه، من أهل الصدق والإيمان بك، دون أهل الكذب والكفر بك منهم.

2- عن سعيد بن جبير t في قوله: " فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ "، فقال: لم يشك النبي r ولم يسأل، عن قتادة: " فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ "، قال: بلغنا أن رسول الله r قال: " لا أشك ولا أسأل " فإن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام، إذن، إن كان الأمر على ما وصفت؟ قيل قد بينا في غير م وضع من كتابنا هذا، استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه إن كنت مملوكي فأنته إلى أمري)، والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده، كذلك قول الرجل منهم لابنه: (إن كنت ابني فبرني) ، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهد، وأن منه قول الله u: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)⁽⁴⁾ ، وقد علم -جل ثناؤه- أن عيسى u لم يقل ذلك، ولم يكن r شاكاً في حقيقة خبر الله وصحته، والله -تعالى- يذكره بذلك من أمر كان عالماً به، ولكنه -جل ثناؤه- خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً، إذ أن القرآن بلسانهم نزل.

3- ولو قال قائل: إن هذه الآية خوطب بها النبي r، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته ممتل كان قد أظهر الإيمان بلسانه، تنبيهاً له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي

(1) سورة إبراهيم - 46

(2) سورة الزخرف - 81

(3) انظر: جامع البيان، للطبري، 115/11 .

(4) سورة المائدة - 116 .

يزيل اللبس عن قلبه، كما قال - جل ثناؤه -: (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً) ⁽¹⁾، كان قولاً غير مدفوعة صحته .

قال القرطبي - رحمه الله - في قوله U (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) ⁽²⁾ :

1 - الخطاب للنبي والمراد غيره، أي لست في شك ولكن غير ك شك. قال: معنى "إِنْ كُنْتَ فِي أَشْكَلٍ يَا مُحَمَّدٌ لِلْكَافِرِ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ" . فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك "لأهل البيت إن كنت في شك من القرآن فاسأل من أسلم من اليهود ؛ يعني (عبد الله بن سلام) وأمثاله، لأن عبدة الأوثان كانوا يقرءون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول ٢ إلى أن يسألوا من يقرءون بأنهم أعلم منهم، هل يبعث الله برسول من بعد موسى.

2 - وقال القتيبي: هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ٢ ولا بتصديقه بل كان في شك.

3 - قلبي: ناد بالخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لا غيره، والمعنى : لو كنت يلحقك الشك فيما أخبرناك به فسألت أهل الكتاب لأزوالوا عنك الشك.

4 - وقيل: الشك ضيق الصدر، أي إن ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر، واسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك يخبروك صبر الأنبياء من قبلك على أذى قومهم وكيف عاقبة أمرهم. والشك في اللغة أصله الضيق، يقال شك الثوب أي ضمه بخلال حتى يصير كالوعاء . وكذلك السفرة تمد علائقها حتى تتقبض، فالشك يقبض الصدر ويضمه حتى يضيق.

قال ابن كثير قال قتادة بن دعامة : بلغنا أن رسول الله ٢ قال: "لأشك ولا أسأل" ، وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم ٢ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال - تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) ⁽³⁾ ، ثم مع هذا الظن يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم . يلبسون ذلك ويعرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ⁽⁴⁾ .

قال الشيخ خليل ياسين : في تفسيره: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) ، كيف نسبت هذه الآية إلى رسول الله ٢، الشك في صدق

(1) سورة الأحزاب - 1 .

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 244/8.

(3) سورة الأعراف - 157 .

(4) انظر: تفسير القرآن الكرللام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي دار المعرفة - بيروت، 1980م، 432/2 .

الوحي، وهذا مما يخرجهم عن أهلية الرسالة، وكيف أمره الله بأن يسأل أحبار اليهود الذين يقرءون التوراة فيجب الشيخ عن هذه التساؤلات : أن الله -تعالى- قدم ذكر بني إسرائيل في الآية السابقة، رقم "93" وهم قراء الكتاب، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم، لأن أمر الرسول ٢ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد ٢ ويبالغ في ذلك، فقال إن وقع شك، فرضاً وتقديراً، وسبيل من خالجه شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإمّا طعتها، إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلت ٤، وإما بالرجوع إلى العلماء، فسئل علماء أهل الكتاب، يعني بأنهم بلغوا من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علماً بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسد ٢ ول الله ٢، لا وصف رسول الله بالشك فيه فكأنه قيل للرسول لو كنت ممن يشك فشككت، فسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك، لتزهم بما يعلمونه عندهم⁽¹⁾.

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة:

يقول ابن حزم -رحمه الله : "لو أن هذا الجاهل تدبر ما في باطلهم المبتدع و هجرهم الموضوع الذي يسمون (توراة) إذ يقول : إن موسى راجع ربه إذ أراد إرساله وقال : "من أنا حتى أمضى إلى فرعون أرسل من تريد أن ترسل ، وأغضب ربه بذلك"⁽²⁾ . وهذا محال من نبي من أنبياء الله الذين اصطفاهم على العالمين ، والذي لم يعلق عليه ابن النغيلة .

ومن الملاحظ أنه لم يتابع ابن حزم أحد من المفسرين في تفسيره للآية والذي كان على أساس لغوي فقط دون الرجوع إلى أقوال الصحابة في هذه الآية ، ويعتقد الباحث أن هدف ابن حزم كان إفحام هذا اليهودي ليس إلا، لهذا لم يوف هذه المسألة حقها ، فرحم الله شيخنا وجزاه عنا خير الجزاء .

(1) أضواء على متشابهات القرآن، للشيخ خليل ياسين، 271/1 .

(2) الرد على ابن النغيلة، لابن حزم ، 62 .

المطلب السابع : الشبهة السابعة :

يقول ابن حزم -رحمه الله-: في قوله -تعالى- (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ⁽¹⁾ في وصف العسل : إن فيه شفاء للناس . فقال ابن النخيلة : وكيف هذا وهو يؤذى المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة ؟

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري:

قال ابن حزم -رحمه الله- : لو كان مع هذا الجاهل أقل معرفة بطبائع الإنسان أو فهم في مخارج اللغة العربية لم يأت بهذا ، أما اللغة، فإن الله -تعالى- لم يقل: العسل شفاء لكل علة . وإنما قال -تعالى- : فيه شفاء للناس، وهذا لا ينكره إلا سلب العقل والحياء ، لأن منافع العسل وشفاءه في إسخان المبرودين ، وتقطيع البلغم، وتقوية الأعضاء، حتى صار لا يطبخ أكثر الأشربة إلا به ، ولا يعجن جميع اللعوقات إلا به، وما وصف (جالينوس وبقرط)؛ وهما عميدا أهل الطب ، طبخ شيء من الأشربة إلا به جملة ، وما ذكرنا قط أن يطبخ شراب بسكر، وكيف ينكر هذا الأنوك أن يكون العسل شفاء محضاً ، فكيف أن يكون به شفاء ⁽²⁾ !

يقول القاسمي في تفسير قوله -تعالى- "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" : "لأنه من جملة الأشفية والأدوية في بعض الأمراض وله دخل في أكثر ما به الشفاء من المعاجين، وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل ⁽³⁾ .

يقول سعيد حوى : الكتب والمقالات التي كتبت عن الاستطباب بالعسل لاتكاد تحصى وقد ألقت في ذلك رسائل جامعية وصدرت أبحاث علمية طبية من جهات متخصصة كبيرة في هذا العالم بحيث أصبح محل العسل في العلاج الطبي مشتهراً شهرةً تبلغ حد البديهة في كل مكان في العالم وبعد ذلك يفصل الكاتب في ذكر فوائد العسل ⁽⁴⁾ .

تفسير الجلالين : العسل هو المختلف ألوانه فيه شفاء للناس من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضمينته إلى غيره أقول وبدونها بنيته.

(1) سورة النحل -69 .

(2) الرد على ابن النخيلة ، لابن حزم ، 62 .

(3) انظر : محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، ط2، دار الفكر -بيروت، 1978م، 128/9.

(4) انظر : الأساس في التفسير، لسعيد حوى، ط3، دار السلام للطباعة-القاهرة، 1991م، المجلد السادس، 2968 .

يقول القرطبي : اختلف العلماء في قوله -تعالى- " فيه شفاء للناس " هل هو على عمومه أم لا ، فقالت طائفة هو على العموم في كل حال ولكل أحد ، فروي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً ، حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلاً وروي أن عوف بن مالك الأشجعي مرض فقيل له : ألا نعالجك فقال ائتوني بالماء فإن الله -تعالى- يقول "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ⁽¹⁾" ثم قال : ائتوني بعسل فإن الله -تعالى- يقول " فيه شفاء للناس " وائتوني بزيت ، فإن الله -تعالى- يقول " من شجرة مباركة ⁽²⁾ " .

" فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعاً ثم شربه فبرئ ، وقالت طائفة أخرى إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض وعلى حال دون حال ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطاً ومعيناً للأدوية في الأشربة والمعاجين ، وليس هذا بأول لفظ خصص فالقرآن مملوء منه ولغة العرب يأتي فيها العام كثير بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام ومما يدل على أنه ليس على العموم أن شفاء نكرة في سياق الإثبات ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان ومحققو أهل العلم ومختلفي أهل الأصول . لكن قد حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم ، فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والأمراض ، وكانوا يشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحّة التصديق والإيقان ابن العربي : ومن ضعفت نيته وغلبته على الدين عادته أخذه مفهوماً على قول الأطباء والكل من حكم الفعال لما يشاء ، وإن قال قائل : قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره فيكيف يكون شفاء للناس ؟ قيل له ، الماء حياة كل شيء وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة في البدن ، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة على أن النبي ﷺ قد حسم داء الإشكال وأزاح وجه الاحتمال حين أمر الذي يشتهي بطنه بشرب الغلغل أخبره أخوه بأنه لم يزد إلا استطلاقاً أمره بعود الشراب له فبرئ وقال : صدق الله وكذب بطن أخيك ⁽³⁾ .

قال البغوي : عن أبي سعيد الخدري قال : " جاء رجل إلى ﷺ فقال : إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله ﷺ : اسقه عسلاً ، فسقاه ثم جاء فقال إني سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً ، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة فقال : اسقه عسلاً ، قال : قد سقيته فلم يزد إلا

(1) سورة ق - 9 .

(2) سورة النور - 35 .

(3) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، 120/10 .

استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبراً⁽¹⁾. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور وروي عنه أنه قال: عليكم بالشفاءين القرآن والعسل.⁽²⁾

قال البيضاوي: "فيه شفاء للناس" إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية، أو مع غيره كما في سائر الأمراض، إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه، مع أن التذكير فيه مشعر يكون بالتبويض، ويجوز أن يكون للتعظيم⁽³⁾.

قال الشوكاني: وقد اختلف أهل العلم هل هذا الشفاء الذي جعله الله في العسل عام لكل داء أو خاص ببعض الأمراض، فقالت طائفة هو على العموم، وقالت طائفة: إن ذلك خاص ببعض الأمراض، ويدل على هذا أن العسل نكرة في سياق الإثبات فلا يكون عاماً، وتذكيره إن أريد به التعظيم لا يدل إلا على أن فيه شفاءً عظيماً لمرض أو أمراض، لا لكل مرض، فإن تذكير التعظيم لا يفيد العموم، والظاهر المستفاد من التجربة ومن قوانين علم الطب، أنه إذا استعمل منفرداً كان دواءً لأمراض خاصة وإن خلط مع غيره كالمعاجين ونحوها كان مع ما خلط به دواءً لكثير من الأمراض. وبالجمله فهو من أعظم الأغذية وأنفع الأدوية، وقليل ما يجتمع هذان الأمران في غيره⁽⁴⁾.

قال محمد كامل عبد الصمد: إن وصف القرآن لعسل النحل بأن فيه شفاء للناس هو حقيقة علمية أثبتتها التحاليل المعملية لهذه المادة، وقد اتفقت آراء كل العلماء أن في عسل النحل شفاء للناس ولم يحدث أن اهتمت الأوساط الطبية بشيء قدر اهتمامها بالعسل الذي صدرت عنه عشرات الآلاف من الكتب والنشرات، وآخر ما اكتشفه العلم أن في العسل ما دة اسمها "انهيين" بها خاصية فريدة إذ توقف نمو الميكروبات فوراً وبعد ذلك تميتها، ولازال العلم يكتشف الجديد في تركيب العسل مما يجعله متميزاً على كل غذاء الإنسان⁽⁵⁾.

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، 224/7.

(2) انظر: تفسير البغوي، 62/3.

(3) انظر: تفسير البيضاوي، 408/1.

(4) انظر: فتح القدير، للشوكاني، 251/3.

(5) الإعجاز العلمي الإسلامي في القرآن الكريم / محمد كامل عبد الصمد، ط 2، الدار المصرية اللبنانية،

1993م، 171.

من خلال استعر اضردود ابن حزم يلاحظ الباحث سعة علم وثقافة هذا العالم الجليل سواء العلمية أو اللغوية أو الطبية، وما استدلاله بعميدا أهل الطب جالينوس، وبقراط لإفحام الخصم وكذلك إلزامه لنفسه بمنهج ثابت في ردوده على هذه الشبهات لهو دليل على ذلك .

ثانياً : إثبات التناقض والتحريف في التوراة :

وبعد استعراض أقوال المفسرين نعود إلى ابن حزم الذي من منهج جيته نقد أقوال خصومه من خلال ما يؤمنون به ، فيقول في هذه المسألة:

"وهم يصفون عن نبي من أنبيائهم أنه شفى أكلةً في عضو إنسان بتين مدقوق وجعله عليه .. فإذا كان في التين شفاء من بعض العلل ، فكيف ينكر هذا اليهودي أن يكون في العسل أشفيه كثيرة ؟ وقد وجدنا في اختلاطهم الذي يسمونه (توراة) عن الله -تعالى- في عدة مواضع أنه إذا بلغ الغاية في مدح أرض القدس التي وعدهم بها قال إلا أنها أرض تتبع عسلاً ولبناً ، إذ تقول التوراة: **لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلى مكان الكنعانيين والحيتيين والأموريين والفرزيين والحيويين واليبوسيين**" (1).

أفترى إذ ليس في العسل شفاء أصلاً، إنما وعدهم -تعالى- بما فيه الداء والبلاء ، لا بما فيه الشفاء ، هذا مع إنكار العيان وجدد الضرورات في منافع العسل" (2).

المطلب الثامن : الشبهة الثامنة :

زعم ابن النغيلة أن الماء ليس مباركاً دائماً ففي قوله تعالى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً) (3)، قال: كيف يكون مباركاً وهو يهدم البناء ويهلك كثيراً من الحيوان؟

أولاً : التفسير الصحيح للآيات وإزالة التعارض الظاهري:

يرد ابن حزم رحمه الله:- " أما درى هذا الجاهل أنه لولا شرب الماء لم يكن في الأرض حيوان أصلاً لا إنسان ولا ما سواه؟ وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القطر النازل من السماء ؟ !أما رأى هذا الجاهل أن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتلأت الآبار وسالت السيول وتفجرت في

(1) الخروج، 8/3.

(2) الرد على ابن النغيلة ، لابن حزم ، 62

(3) سورة ق - 9.

الأرض ينابيع ؟ حتى إذا قلت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وخفت البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع ، خشنت الصدور وفسد الهواء؟ ! أما رأى أنه لا نماء لشيء من النبات كله منزرعة وصحراويه وجميع الشجر بساكناتها وشعرائها إلا بالماء النازل من السماء ؟ !

لقد سخر الله كل ما في الكون لمنفعة الإنسان وخدمته ولكن أي نعمة من هذه النعم يمكن أن يقلبها الله تصبح نقمة وتكون جندي من جنود الله يسخرها لإهلاك الإنسان أو لتأديبه ومن ذلك الأمطار والرياح والبحار والحيوانات الأليفة فكل هذه وأخرى ما هي إلا جنود تأتمر بأمر الله ! فماء السماء الطاهر المبارك في نفسه حيث أن أهميته وفوائده لات عد ولا تحصى وهو لاغنى عنه لحياة الإنسان والحيوان والنبات هذا لا يمدح أن يسخره الله في الإهلاك بالفيضانات وكذلك البحار التي تمدنا بالأسماك واللؤلؤ وتسهل المواصلات ربما يسخره الله في الإغراق كما حصل مع فرعون، ومن هنا فلا تعارض مع الآية؛ أن ماء السماء مباركاً دائماً. وما ذكره هذا اليهودي، فالنعم يمكن أن يحولها الله إلى نقم وكل ما في الكون يسير بإرادة الله.

ثانياً: إثبات التناقض والتحريف في التوراة :

أما قرأ في هديانهم الذي يسمونه (توراة) امتتان الله -تعالى- في صفة الأرض المقدسة بأنها لا تسقى من النيل، كما تسقى مصر ، لكن من ماء السماء ؟ !أتراه إنما من عليهم بضد البركة لا بالبركة ؟! إن هذا لعجب ! أما علم أن الأمطار ترطب الأجسام ، وأن بالماء الذي عنصره ماء السماء تزال الأوساخ وتطيب الروائح، ولولاه ما عمر العالم ؟! فحسبكم أيها الناس بمقدار هذا الخسيس وجهله وهو عميد اليهود وعالمهم وكبيرهم (1) .

(1) الرد على ابن النغريلة ، لابن حزم ، 64 .